محاضرة| ٦

الرسوم الجدارية : ماهيتها - دوافعها

د. مريم عمران موسى

نوع من انواع الفنون او شكل من اشكال الفنون يتم التعبير فيه عن الاحاسيس والافكار والاشياء والمواضيع بواسطة الاشكال والخطوط والالوان ، علما بانه قد عرف منذ العصر الحجري القديم واستمر الى العصور اللاحقة .

ومن خلال تتبع بقايا الانسان القديم في الرسم نجد ان الرسم قد مر بخطوات متدرجة في التطور والنضوج من ناحية الموضوع والاسلوب ، وان المواضيع التي طرقها تدل على انه كان متفاعلا مع بيئته ومحيطه فهي تصور جانبا مهما من جوانب حياته اليومية والاقتصادية ، فمعظم الموضوعات تمثل اشكال حيوانية .

تعد الاشكال الحيوانية من ابرز المواضيع التي تناولها في فنونه وخاصة تلك الحيوانات التي عاصرته وعاشت بقربه لانها كانت ركنا اساسيا من اركان حياته المعاشية .

وقد كان في البداية يكتفي برسم الشكل العام للحيوان او اظهار الخطوط الخارجية بلون غامق كاللون الاسود او اللون الاحمر وعدم التركيز على الاجزاء الاخرى وبالتجربة اكتسب الانسان القديم خبرة في التخطيط . الرسوم الحيوانية تشمل الثور الوحشي البيزون والحصن الوحشية والفيل القديم الماموث ، الغزلان ، الدببة ، الذئاب بالاضافة الى الطيور وغيرها وهذا يشير الى ان الانسان القديم عاشت في زمنه حيوانات ضارية كبيرة الحجم ولذلك حاول جاهدا ان يؤمن قوته من هذه الحيوانات من خلال رسمها معتقدا بعمله هذا انها تصبح تحت سيطرته، متصورا انه عندما يقوم برسم الشيء يكون قد سيطر عليه اي انه يسيطر على الشيء عندما يقوم برسمه معتقدا ان الرسم يساعده على ذلك .

ان الرسم في بدايته وسيلة لضمان حياة الانسان القديم الذي يعيش على صيد الحيوانات المتوحشة ويعتبر وسيلة لتحقيق الغاية المتمثلة بصيد هذه الحيوانات المتوحشة ان بداية رسوم اشكال الحيوانات على جدران الكهوف والملاجيء كانت على شكل خطوط الاصابع على الاجزاء الرخوة من الجدران او الارض وكذلك تقليد لاثار طبعات اقدام الحيوانات ومحاولات للافراد وذلك بطبع ايديهم على الجدران .

تميزت النماذج الاولى بالبساطة ثم تطورت فيما بعد من حيث الخطوط والالوان وتناسق ابعاد كتل الجسم

كانت الوسائل التعبيرية منسجمة مع طبيعة واساليب المعيشة ، فالوحدات الزخرفية هي عبارة عن اشكال حيوانات الفترة . ومن المواضيع الاخرى اشكال وخطوط غير منتظمة ، او انها سلسلة رسوم ذات علاقات هندسية متعددة .

ويعتقد ان الانسان القديم قد خط على الارض خطوط عفوية بقطعة من غصن او بأداة من الحجر المستعملة في حياته اليومية رسمت في ذهنه صورة دفعته الى التخطيط على جدران الكهوف، بعض اشكالها حلزونية ، خطوط منحنية ، متقاطعة وغير متقاطعة ، وبعبارة اخرى فأنها خطوط مشوشة وغير منتظمة ،

لذلك كانت الخطوط غير المنتظمة من الموضوعات الاولى التي رسمها الانسان قبل ان يتطور الى رسم موضوعات اخرى . ومن المواضيع الاخرى كان كف الانسان من اقدم المواضيع التي تناولها الانسان في رسومه قبل ان يتطور الى رسم موضوعات حياتية اخرى . وقد كان شكل الكف عبارة على شكل خطوط بالاصابع على الاجزاء الرخوة في الارض او على الجدران ، وكذلك تقليد لاثار طبعات اقدام الحيوانات، اي ان الانسان القديم قام في اول الامر بتقليد الاثر الذي تخلفه بعض الحيوانات وذلك بطبع ايديهم على الجدران بواسطة قطعة خشبية او باداة من الحجر او العظم . اي ان الانسان لاحظ بصورة عفوية انطباع اقدامه على ارضية الكهف الترابية او الطينية او انه شاهد كفه الملونة بدم الحيوان الذي صاده على ارضية الكهف او جدرانه وهذا قاده الى مزاولة ذلك وتكراره وبالتالي تعمده في غمس يده بدم الحيوان الذي اصطاده ثم يبصمها على الجدار ، وربما كانت الصدفة قد لعبت دورا مهما في معرفة الانسان الرسم .

ومن الجدير بالاشارة ان اشكال الكف قد نفذت بطريقة الحفر على جدران الكهوف بنفس الفترة التي ظهر فيها الرسم علما ان بعضها يمثل باطن الكف والبعض الاخر يمثل التخطيط الخارجي للكف بشكل حزوز خفيفة وهذا يشير الى بداية ظهور النحت البارز .